... خَيْـرُ مَنْ يُعْطَاهـا...

أيّد الله سبحانه الأنبياء بالمعجزات ، لكن كل معجزة ذهبتْ مع ذهاب النبيّ ، وإلاّ أين عصا موسىٰ عليه السلام اليوم؟ وأين النار التي دخل فيها إبراهيم عليه السلام؟ وأين بساط سليمان عليه السلام؟ وهكذا.

أما خاتم الأنبياء محمّد ﷺ ، فالمعجزة التي أيّده الله بها خالدةٌ إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ألا وهي القرآن الكريم.

ولذلك جاء التحدّي للمشركين العرب ـ وهم أهل البلاغة والشّعر والخطابة ـ في أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فعجزوا ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم تحدّاهم الله تعالىٰ بأن يأتوا ولو بسورة تشبه سورة من سور القرآن ، حتىٰ لو دَعَوا أنصارهم وشهداءهم ، وحتىٰ لو تعاونوا مع الآخرين ، فإنهم لن يستطيعوا أبداً ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ . . .﴾ [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤].

ثم تحدّاهم بأن يأتوا بسورة مفتراة ـ كما يزعمون ـ فعجزوا: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣].

لكن المنصفين منهم اعترفوا بذلكم الإعجاز القرآني ، مثال ذلك ما حكاه

الأصمعي (ت: ٢١٦ هـ) أنه سمع كلام جاريةٍ فقال لها: قاتلكِ الله، ما أفصحك! فقالت: أو يُعَدُّ هذا فصاحةً بعد قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فجمع في آيةٍ واحدةٍ بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين!!.

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لأجلك أُنزلت معجزة القرآن الكريم، فهنيئاً لمن تمسك بالكتاب والسُّنّة:

يا رب أسأل منكَ فضل قناعةٍ ... بيسيرها وتحبّباً لحماها
ورضاك عنّي دائماً ولزومُها ... حتىٰ تُوافي مُهجتي أُخراها
فإن الذي أعطيتَ نفسي سُؤلَها ... وقبلتَ دعوتها فيا بشراها
بجوار أوفىٰ العالمين بذمّةٍ ... وأعزّ من بالقرب منه يُباهىٰ
من جاء بالآيات والنور الذي ... داوىٰ القلوب من العمىٰ فشفاها
أولىٰ الأنام بخُطّة الشرف التي ... تُدعىٰ الوسيلة خيرُ من يعطاها

* * *